

أوراق إستراتيجية

فرنسا وحزب الله : نهاية العلاقة

December, 2005

France and Hizbullah : the end of the Affair¹

Olivier Guitta²

خلال المؤتمر الصحافي المفصلي مع نظيره الفرنسي شارل ديغول عام 1960 ، قال ديفيد بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل أن فرنسا صديق كبير لإسرائيل. في هذه اللحظة، قاطعه شارل ديغول فجأة، ليصرح قائلاً "ليس لفرنسا أصدقاء، بل مصالح فحسب".

هذا المقال يلخص كثيراً من السياسات الخارجية الفرنسية. وبالتأكيد يمكن أن تشكل نموذجاً لعلاقة فرنسا مع حزب الله. في الحقيقة، هناك تغير ملحوظ في مواقف فرنسا من حزب الله إلى المدى الذي يبدو موقف فرنسا من المنظمة اللبنانية الشيعية شبيهاً بالموقف الأمريكي. ويبدو المناخ مهيباً لتعمل فرنسا والولايات المتحدة معاً بشكل فعال لحل مشكلة حزب الله.

كانت تجارب الفرنسيين والأمريكيين في لبنان متشابهة تماماً من عدة أوجه، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بحزب الله. يُعتبر حزب الله كمجموعة إرهابية من قبل أكثرية العالم الغربي، ولكن ليس من قبل فرنسا أو أي بلد عربي. لقد أنشأ الحزب عام 1982، لإخراج القوى الأجنبية من لبنان: القوى الإسرائيلية التي كانت تحتل جنوب لبنان، والقوى الإيطالية، الفرنسية والأمريكية التي كانت متواجدة في بيروت ضمن قوة حفظ السلام المنتدبة.

في النتيجة، العلاقات بين فرنسا، أمريكا وحزب الله انطلقت بشكل سيء جداً. ففي نيسان 1983، استهدف حزب الله الجنود الفرنسيين بهجوم صاروخي، دون وقوع اصابات، ثم هاجم السفارة الأمريكية في بيروت، وقتل 63 شخصاً وجرح أكثر من 120. وفي تشرين الأول 1983، سارت الأمور بشكل أشد سوءاً عندما فجر حزب الله بشكل متزامن تقريباً، التكنات الأمريكية والفرنسية في بيروت، وسقط 241 قتيلاً من المارينز و58 جندياً فرنسياً. وفي تشرين الثاني 1983، وانتقاماً من الهجوم القاتل في تشرين الأول، أرسلت فرنسا طائراتها المقاتلة لمهاجمة مخيمات حزب الله في بعلبك.

أمّا الرد الأمريكي على هجوم حزب الله كان خجولاً أكثر : قصف البارجة uss New Jersey لبعض المواقع قرب بيروت. ويظهر أنه في تلك الفترة ألغى وزير الدفاع Caspar Weinberger عملية ضرب مواقع حزب الله بمزيد من القوة. وفي أيلول 1983، هاجم حزب الله الجنود الفرنسيين في جنوب لبنان، وقتل عشرة منهم. لكنّ الفرنسيون لم لينتقموا، وفي عام 1984 غادرت القوى الفرنسيّة الأمريكية لبنان إرضاءً لحزب الله.

وبالرغم من هذا التحرر، كرر حزب الله استهدافه للفرنسيين والأمريكيين عام 1985. فبين عامي 1985 و 1987، اختطف حزب الله ستين مدنياً فرنسياً واثني عشر أمريكياً، أغلبهم من الصحفيين والدبلوماسيين. وظلّ بعض الرهائن في

¹The Brookings Institution, November 2005.

² Consultant on Middle Eastern and European Affairs.

الأسر لأكثر من أربع سنوات وأعدم واحد منهم. وفي تلك المرحلة، عمّل حزب الله، المؤسس والمدعوم من قبل سوريا وإيران، كوكيل لهذين البلدين.

وفي الواقع، تحدّث الشيخ فضل الله، المرشد الروحي للعديد من عناصر حزب الله، بموضوع هام عام 1986 في نفس الوقت الذي كان خلاله الرهائن الفرنسيين محتجزين في لبنان: "فرنسا تقف في مواجهة حائط مسدود. وثمة ثلاثة مفاتيح لتخطيه، الأصغر هو لبناني، لكن لو كنت أحتجز مواطنيكم، لن أقوم بتحريرهم بشكل فردي. مفتاحي الصغير لا يكفي، المفتاح السوري هو الأقوى. ولكنه ليس كافياً أيضاً. أنتم تحتاجون إلى المفتاح الثالث، الذي تملكه إيران"³.

إذاً، في موضوع تحرير مواطنيهم، كان كلا الطرفين الفرنسي والأمريكي بحاجة لعقد اتفاق مع إيران، وكلاهما اعتبر هذه المفاوضات خياراً وحيداً. وتحولت عملية مبادلة السلاح بالرهائن إلى قضية إيران كونترا. وقدمت فرنسا، في هذه الاثناء لإيران العديد من مطالبها. وكان آية الله الخميني، حاكم إيران، غاضباً من فرنسا لأسباب عديدة، خصوصاً بسبب منحها اللجوء لوجوه بارزة في نظام الشاه، من ضمنهم رئيس الوزراء شهپور بختيار، وبسبب الدعم الفرنسي لصدّام، الذي خاض حرباً دموية ضد إيران.

لم تكن أزمة الرهائن الجبهة الوحيدة التي هاجم عبرها حزب الله فرنسا. وفي الحقيقة، فقد نقل الحرب إلى شوارع باريس. حيث ساعد حزب الله في تنفيذ موجة من الهجمات الإرهابية في باريس بين تشرين الثاني 1985 وأيلول 1986، أدت إلى مقتل 13 وجرح المئات. بينما ظلت مسؤولية حزب الله عن الهجمات موضع جدال، فقد أشارت عدة عناصر نحو دور ما. في البداية، استنتجت المخابرات الفرنسية أن المتفجرات التي استعملت خلال موجة التفجيرات كانت تلك التي استعملت في سيارة مفخخة وضعها حزب الله بجانب السفارة الفرنسية في الكويت في أيلول 1983. ثانياً، المتورط الرئيسي الذي أوقف عام 1986، فؤاد علي صالح، كان مقرباً جداً من العديد من كبار المسؤولين في حزب الله، ومن ضمنهم حسين مذبح، كبير صانعي المتفجرات في المنظمة. ثالثاً، كان صالح محمياً من قبل وحيد جوردجي، أحد الأعضاء غير الرسميين في السفارة الإيرانية في باريس، والذي طرد لاحقاً من فرنسا بعد زمن من الخلاف بين الشرطة الفرنسية والسفارة الإيرانية في فرنسا⁴.

المرحلة الثانية

خلال التسعينيات، كان هناك خلاف صغير بين حزب الله من جهة وفرنسا أو أمريكا من جهة أخرى. لكن الأمور اختلفت تماماً منذ عام 2000.

أولاً، في شباط 2000، وصف رئيس الوزراء الإشتراكي Lionel Jospin حزب الله كمجموعة إرهابية خلال مؤتمر صحفي في إسرائيل. وزير الخارجية الفرنسي Hubert Vedrine، الذي كان مع Jospin همس في أذنه "لقد ذهبت بعيداً في هذه المرة"⁵ وقد تصرّف الرئيس Chirac بشكل عنيف ليذكر Jospin بأن الرئيس هو من يحدد السياسة الخارجية الفرنسية، وليس رئيس الوزراء. ربما لأنه تذكر عمليات التفجير والخطف عامي 1985/1986، لم يردّ Chirac استعداد حزب الله. ورغم ماضي حزب الله المنتقع بالدم، دعى Chirac حسن نصر الله، الأمين العام للمنظمة، للحضور في قمة الفرنكوفونية في بيروت في تشرين الأول 2002. وخلال الإجتماع، منح Chirac الشرعية لحزب الله عبر قوله بأن "حزب الله هو عضو مهم في المجتمع اللبناني".

بالرغم من هذه الملاحظات، تدهورت العلاقات الفرنسية بحزب الله دراماتيكياً منذ أيلول 2003. حيث دعم Chirac منع الحجاب، الغطاء الذي تضعه المرأة المسلمة، في المدارس الرسمية الفرنسية متعرضاً لغضب الشيخ فضل الله. وآخر ما

³ Le Figaro (paris) sep. 17, 2004.

⁴ For more on this, please see Didier Bigo, "Les attentats de 1986 en France : un cas de violence transnationale et ses implications (partie1)", Cultures et Conflicts, no. 4.

⁵ Christophe Deloire and Cristophe Dubois, les islamists sont deja la, (Albin michel : paris, 2004), p.151.

كتب في الرسالة الرسمية الموجهة لـ Chirac حذر من التعقيدات البالغة لفرنسا إذا ما تمت الموافقة على قانون منع الحجاب⁶. غير أن منع الحجاب لم يتحول إلى قانون فحسب، بل بموافقة Chirac، في نيسان 2004.

بالرغم من المجابهة الفرنسية غير المقصودة مع حزب الله، لم تغير فرنسا سياستها بشكل كامل تجاه المنظمة. وفي الحقيقة، ففي أيار 2004، اعتبر السفير الفرنسي في الولايات المتحدة، Jean David Levitte أن حزب الله يتحرك في الغالب كمنظمة اجتماعية. وقد جادل Levitte حول عدم وجود سبب لوضع المنظمة على لائحة الإتحاد الأوروبي للمنظمات الإرهابية⁷. عديدين في أوروبا، وضمنهم مؤخراً وزير الخارجية الهولندي Bernard Bot، مانع بشكل قوي وضع حزب الله على اللائحة. واعتبرت فرنسا، التي مانعت بشكل قوي ضمه إلى اللائحة، أن حزب الله هو حزب سياسي واعتبارها منظمة إرهابية سيفلقل الأوضاع في لبنان.

لكن وبشكل متزامن اتخذت فرنسا موقفاً قاسياً من حزب الله عبر إيقاف قنواته الفضائية "المنار" في كانون الأول 2004. حيث ولدت اللاسامية المتطرفة التي تعرضها عدد من برامج المنار ضغطاً كبيراً من السياسيين الفرنسيين والشعب على حد سواء لإيقاف المحطة. الأمر الذي لا يمكن تجاهله بعد ذلك، خصوصاً بعدما قدمته القوانين الفرنسية القاسية جداً بخصوص معاداة السامية. وقد تبعها أمريكا بعد عدة أيام.

ويبدو بشكل لافت للنظر، أن نصر الله لم يحمل حقداً تجاه فرنسا نتيجة هذا التحرك. وفي الحقيقة، فقد وجّه في نيسان 2005 مقالة بعنوان "رسالة للأصدقاء الفرنسيين"، موجهة بشكل واضح إلى Chirac، في الصحيفة اللبنانية السفير، حيث لعب نصر الله ورقة الصداقة. "فرنسا مدعوة للمساعدة في دفع الحوار الوطني والمصالحة الداخلية من موقعها كصديق (...). اللبنانيون لا يحبون أن يروا فرنسا أسيرة للهيمنة الأمريكية العدائية والمتوحشة". وقد أنهى رسالته بالقول: "نرجو أن تقبلوا، أيها الأصدقاء الأعزاء، تأكيدي على صداقتي المخصصة"⁸.

بشكل مدهش، تجاوزت فرنسا مع هذه المحاولة بتبني أقسى القرارات تجاه منظمة نصر الله. وفي الواقع، في آب، أزالته الشركة التابعة لفرانس تكوم المجهز الرئيسي للستلايت، Globecast، أزالته المنار عن القناة الآسيوية. وفي 29 آب 2005، قال Chirac علناً بأن قرار مجلس الأمن سيفرض بقوة. وفي مقابلة مع اليومية اللبنانية The Daily Star، طلب Chirac من لبنان نزع سلاح حزب الله وتنتشر جيشها على طول الحدود مع إسرائيل⁹. وهذا ما أكدته وزير الخارجية الفرنسية Philippe Douste-Blazy في مقابلة مع مجلة الشرق الأوسط في 5 أيلول 2005 عندما قال: "بالنسبة لنزع سلاح حزب الله، أقول أن هدفنا المتمثل بنزع سلاح الميليشيات، هو نفس هدف القرار 1559، نريد أن نرى كل بنود هذا القرار مطبقة". وأضاف في مقابلة أخرى في 23 أيلول بأن نزع سلاح حزب الله هو هدف أمريكي فرنسي مفصلي وإن كان في الأصل قضية لبنانية. وكذلك فإن زميلته Catherine Colonna وزيرة الشؤون الأوروبية، ذهبت بعيداً لتقول أن فرنسا تدين "تحركات العنف غير الشرعية" تجاه إسرائيل.

مع هذا التحرك، اعترفت فرنسا بأن نزع سلاح حزب الله سينتج تفاعلات إيجابية: سيبرد التوترات داخل وخارج لبنان. وفي الحقيقة، سيستعاد بإعادة السلطة إلى الجيش اللبناني، دور القانون بشكل نهائي، وسيكون ممكناً تصور إمكانية توقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل.

هذا النمط من التصريحات الفرنسية الرسمية تشكل تحسناً كبيراً وتعني أن فرنسا والولايات المتحدة تنظران إلى لبنان بشكل متقارب إلى حد كبير. طبعاً، يبقى هناك قضية وضع حزب الله على لائحة الإتحاد الأوروبي للإرهاب. يبدو أن فرنسا ليست حاضرة لذلك. وفي الواقع، فقد اعتبر السفير الفرنسي في إسرائيل Gerard Araud في 27 أيلول 2005 أن فرنسا تريد أن تعطي حزب الله "مكاناً في العملية الديمقراطية على أن يفهم بأن ضمن هذه العملية الديمقراطية لا مكان للسلاح وللإرهاب". لكنه ذهب إلى القول أيضاً بأن وضع حزب الله على لائحة الإرهاب سيكون بيد العالم العربي فقط،

⁶ proche_orient. Info, December 23, 2003.

⁷⁷ Jean David Levitte, French ambassador to the United States, interview with the author, Washington D.C., may 7, 2004.

⁸ As-safir (Beirut), April 13, 2005; middle east online, April 13, 2005.

⁹ The Daily Star (Beirut), August 30, 2005.

الأمر الذي سيعتبر "مؤامرة أمريكية صهيونية"، وفرنسا "لا تريد أن تعطيم هذه المتعة". الولايات المتحدة، في الجانب الآخر، تؤكد على أن وضع حزب الله على اللائحة الأوروبية سيؤدي إلى تحقيق إيجابيات عدة، مثل السماح بتجميد جمع التبرعات للمنظمة في كافة أنحاء أوروبا.

لكن بعد كل ما قيل وكل ما تم القيام به، السبب الرئيسي لهذا التحالف الدبلوماسي الفرنسي الأمريكي تجاه حزب الله أصبح باتجاه داعمي حزب الله : سوريا وإيران. وفي الحقيقة، فإن فرنسا وعبر تصلب موقفها تجاه حزب الله، قد وجهت رسالة جديدة، واضحة وثقيلة لدمشق وطهران. وأيضاً ليس من قبيل الصدفة أن فرنسا وبشكل متزامن تضغط على سوريا لإنهاء دورها في لبنان وعلى إيران لإنهاء برنامجها النووي. وبإنهاء الفجوة بينهما عبر القضية اللبنانية، فإن فرنسا والولايات المتحدة تتحركان على خلفية التوترات الناتجة عن الحرب في العراق وتثبتان بأنهما أكثر فاعلية عندما تستجمعان قواهما.



Research Services Group
ResearchServices.Group@gmail.com